رؤية المستشرقين لأثر العلوم العقلية عند المسلمين على أوروبا في العصور الوسطى

Orientalists view of the impact of rational sciences on Muslims Europe

Researcher Name: Yasmin Abbas Mutlaq م. د ياسمين عباس مطلك

الجامعة العراقية / كلية العلوم الاسلامية / قسم اللغة العربية

البريد الالكتروني yasmin.a.mutlaq@aliraqia.edu.iq

الخلاصة:

تعد دراسة الاستشراق من الدراسات المهمة, في معرفة نوايا الغرب الاوروبي اتجاه التراث الاسلامي, فقد قام المستشرقون بدراسة آثار الشرق بدقة, واستغلال بعض الثغرات فيه للطعن فيه, ولاسيما العلوم, واذ ترجموا مؤلفات العلماء المسلمين كالخوارزمي, وجابر بن حيان, والرازي, وابن النفيس وغيرهم من العلماء المسلمين, وكانوا هؤلاء العلماء المسلمين البوابة الاولى للمعرفة الاوروبية فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون ، الاستشراق، أوربا، العلوم العقلية ،التراث الاسلامي

Abstract

The study of Orientalism is one of the important studies in knowing the intentions of European Arabs towards the Islamic heritage, Orientalists studied the effects of the East in detail , and exploited some of its loopholes to attack it, especially the sciences , so they were moved by the writings of Muslim scholars such as Al- Khwarizmi.

Keywords: Orientalists, Orientalism, Europe, Rational Sciences, Islamic Heritage.

المقدمة

إن رؤية المستشرقين لأثر العلوم العقلية على أوروبا, تختلف من مستشرق إلى اخر ، فقد جاء بحثنا لدراسة الاثر الاسلامي الكبير الذي وضع بصماته المسلمين في أوربا ، فقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين, فتطرقت في المبحث الاول الى ضرورة التعريف بلفظة الاستشراق والمستشرقين واعطاء نبذة تأريخية عن اهم المدارس الاستشراقية لمعرفة نوايا مستشرقيها, وموقفهم من التراث الاسلامي, وكذلك تناولت في هذا البحث عن تعريف وتوضيح العلوم العقلية وماذا تشتمل عند المؤرخين.

من أهم اهداف هذا البحث ، بيان رؤية مؤرخي الغرب الاوربي بشأن العلوم العقلية التي ابدع بها العلماء المسلمين وطورها علماء أوربا في العصر الحديث مما سوف ينعكس ايجابياً على الحضارة الاسلامية.

ان السؤال الذي يطرح نفسه في هذا البحث هو:

هل يا ترى أدان الغرب الاوروبي بفضل العلماء المسلمين عليهم في النهضة الاوروبية؟ وهل يا ترى ما توصل اليه العلماء الغرب اليوم من علم يرجع بالأساس الى العقلية الاسلامية؟

المبحث الاول

التعريف بالاستشراق

قبل التطرق الى دراسة الرؤى الأستشراقية للعلوم العقلية واثرها على اوروبا, لابد من الضرورة التعريف بالاستشراق لغةً واصطلاحاً وكذلك التعريف بلفظة مستشرق التي بغضها بعض المستشرقين, لفهم طبيعة المدارس الاستشراقية, التي خرجت المستشرقين, وموقفهم من التراث الاسلامي.

اولاً: اصل لفظة الاستشراق, والمستشرقين

ان هنالك عدة تعريفات لكلمة الاستشراق Orientalism , منها ما هو لغوياً وما هو اصطلاحياً فإما لغوياً فقد عرفه لنا الرازي (ت ٦٦٦هـ/١٢٧٠م), قائلاً: "الاستشراق مأخوذ من لفظة شرق, بسكون الراء أو المشرق بكسر الراء ويراد بها جهة الشرق اي شروق الشمس (القادر، مختار الصحاح، ١٩١١م).

واما ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١٢م), فقد عرف الاستشراق قائلاً: "تعني شروق الشمس أي طلوعها" (مكرم، لسان العرب، ١٩٩٥م).

بينما الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م), فقد تطرق الى تعريف لفظة الاستشراق, والتي لا تختلف عن ممن سبقه من اللغويين, فقد قال: "مشتق من كلمة الشروق, وهي جهة الشرق, والشروق روق الشمس, والسين تفيد الطلب اي طلب جهة الشرق" (مرتضى، ١٣٠٦هـ).

نوه المفكر الالماني رودى بارت Ruda Bart الى تعريف الاستشراق قائلاً: "كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق, وكلمة شرق تعني مشرق الشمس, وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق او علم العالم الشرقي" (الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية، ١٩١١م).

يبدو لنا بأن المفكر الالماني رودى Ruda قد أقتبس وتأثر بتفسيرات اللغويين المسلمين لكلمة الاستشراق, لأن المستشرقين درسوا اللغة العربية وتعلموها بدقة, قبل دراسة التراث الاسلامي, فتعريفه للاستشراق مبني على دراسة رؤية وتفسير العلماء المسلمين. كما وان لفظة الشرق, وردت في القرآن الكريم, قولهُ تعالى: ((واشرقت الارض بنور ربها)) (سورة الزمر).

اما في الاصطلاح فقد عرفه كثير من المؤرخين المحدثين ومنهم الدكتور فاروق عمر قائلاً: علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم, وأحوال مجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم" (الاستشراق والتاريخ الاسلامي القرون الاسلامية الاولى دراسة مقارنة بين وجهة النظر الاسلامية ووجهة النظر الاوربية، ١٩٩٨م).

وكذلك عرفه الدكتور إدوارد سعيد الذي أحدث كتابه ضجة كبيرة لدى المستشرقين لأنه اصدره باللغة الانكليزية في امريكا, ومن ثد اصدره باللغة العربية, قائلاً: "الاستشراق اسلوب في التفكير مبني على تميز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق والغرب" (الاستشراق – المعرفة – السلطة – الانشاء، ١٩٨١م).بينما النملة رأى بأن الاستشراق, ظاهرة صاحبت الصحوة الفكرية, التي عاشتها اوروبا منذ ان شعرت بتهديد المسلمين على طريق الاندلس غرباً وتركيا شرقاً" (ابراهيم، ١٩٩٣م).

اما نجيب العقيقي فقد عرفه قائلاً: "تناولوا تراثنا بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة, ولم يقفوا منه عندها, فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات, وانما عمدوا الى دراسته وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنيف فيه" (المستشرقون، ٢٠٠٦م).

اما لفظة مستشرق, فقد استعملت لأول مرة بحدود سنة ١٦٣٨م, وأطلقت على أحد رجال الكنيسة الشرقية او اليونانية (كامل، ٢٠٠٨م).

وردت لفظة مستشرق في سنة ١٦٩١م, عندما وصف انتوني وود Anthony weed, صموئيل كلارك Samuel clark, بأنه استشراقي نابه, اشارة منه الى معرفته باللغات الشرقية (ج ا.، ١٩٤٦م)

ان لفظة مستشرق, قد وردت في كتب الغربيين ومنهم المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson، الذي ذكر لنا بأن مصطلح مستشرق ظهر في اللغة الفرنسية عام ١٧٩٩م, وكانت الغاية منه معرفة ودراسة الشرق, إذ كانت الحاجة ماسة الى وجود متخصصين للقيام بهذه المهمة (الصورة الغربية والدراسات العربية الاسلامية ، بحث في تراث الاسلام، ١٩٧٨م).

كما ان مصطلح مستشرق, قد لاقت رفضاً عند بعض المستشرقين ومنهم عراب السياسة الامريكية المستشرق اليهودي برنارد لويس, الذي وصف المصطلح بأنه: "قد القي به في مزابل التاريخ" (كاظم، ٢٠١٣م).

اصدرت منظمة المؤتمرات العالمية, قراراً في مؤتمرها الذي عقدته في باريس سنة ١٩٧٣م بأن يتم الاستفتاء عن مصطلح الاستشراق (محمد، ١٩٧٨م).

ثانياً: نبذة تأريخية عن اهم المدارس الاستشراقية في اوروبا

يرى الدكتور السوري إدوارد سعيد, الى ان الاهتمام بالشرق قد زاد بعد الحروب الصليبية وحروب الاسترداد في اسبانيا, وكذلك بعد الفتوحات المغولية لبلدان الخلافة الشرقية وشرق اوروبا وروسيا, فبدأت الدعوات الاوروبية الى انشاء كراسي اللغات الشرقية ودراسة التراث الاسلامي في الجامعات الاوروبية وصدور قرار مجمع فينا veena الكنسي في سنة ٧١١هـ/١٣١٢م (الاستشراق – المعرفة – السلطة – الانشاء، ١٩٨١م).

ومن أهم هذه المدارس هي:

١. المدرسة الانكليزية

وضعت اللبنة الاولى لقسم اللغة العربية في عام ١٦٣٢م, في جامعة كمبردج واكسفورد, وكانت الدراسات العربية يغلب عليها الطابع الفردي وفي هذه الفترة, كانت انكلترا تفرض سيطرتها على الهند من خلال شركة الهند الشرقية التي تعمل في الهند, وتؤمن مراكز استشراقية لتدريب موظفين يستطيعون التعامل مع سكان البلاد (ظفار، ٢٠٠٩م).

ومن اعلام هذه المدرسة الذين استعنت فيهم لدراسة بحثي الا وهو المستشرق اربري أ. ج Arberry A– J, وكذلك المستشرق المنصف للإسلام توماس ارنولد Arnold, sir Thomas, والمستشرق مونتكمري وات Montgomery watt, كانت لهؤلاء المستشرقين بصماتهم الواضحة فيما يتعلق بالموقف من الدين الاسلامي, وكذلك فيما يختص بالعلوم العقلية التي اثرت على العقلية الاوروبية أبان العصور الوسطى.

٢– المدرسة الالمانية

تعد من المدارس السابقة, نظراً لاهتمامها بالدراسات الاسلامية, وتميزت باسلوبها العلمي الرصين, وتعد المدرسة الوحيدة التي أهتمت بالاسلام اهتماماً علمياً جاداً في وقت مبكر من بين مدارس الاستشراق الاوروبي, وأهم ما يميز هذه المدرسة, عدم ازدهارها في ظل الاستعمار, كما هو الحال مع المدارس الاخرى كالمدرسة الانكليزية والهولندية, لعدم ارتباطها بالأهداف الدينية او التبشيرية (الدين، ١٩٧٨م), ومن بين مستشرقيها هي المستشرقة زيغريد هونكة (١٩١٣–١٩٩٩م) والمستشرق كارل سخاو.

٣– المدرسة الاسبانية

تميزت المدرسة الاسبانية الأستشراقية على غيرها من المدارس الاوروبية, بسبب التراث الكبير الذي تركه العرب المسلمون, اثناء وجودهم فيها, والتلاقح الحضاري والثقافي الذي نتج عنه كم هائل من المؤلفات في شتى مجالات المعرفة, وعلى الرغم من ذلك الارث الحضاري الكبير الذي تركه المسلمون في هذا البلد, لم تستطيع المدرسة الاسبانية, ان تتحرر من المنهج العدائي الاوروبي تجاه الاسلام في بعض المؤلفات (كاظم، ٢٠١٣م), ومن بين مستشرقي هذه المدرسة الذين عكسوا رؤيتهم بشأن العلوم او الحضارة الاسلامية هو المستشرق الاسباني فرانسكو جافير سيمونت Francisco Javier Simonet (١٨٢٩–١٨٩٧م), وهذا ليس مستشرق فقط وانما اب في الكنيسة, ألف كتابين هاجم فيها على الاسلام والمسلمين وعقائدهم (مصطفى).

٤- المدرسة الفرنسية

لقد كانت صلات فرنسا بالشرق الاسلامي, منذ الفتوحات الاسلامية للاندلس في سنة ٩٢هـ/٧١١م لكن بداية الاستشراق بمفهومه في فرنسا, كان قد ظهر مع صدور قرار مجمع فينا الكنسي في عام ٧١١هـ/١٣١٢م, والذي يتضمن تأسيس كراسي الاستاذية للغات الشرقية والعربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعة باريس, وبعض الجامعات الاوروبية الاخرى (كاظم، ٢٠١٣م), تميز المستشرقين الفرنسيين, بتوجههم الى الدراسات العربية والاسلامية لفهم وفك رموز الحضارة الاسلامية الموغلة في القدم (كاظم، ٢٠١٣م).

ومن ابرز مستشرقيها الذين وضعوا بصماتهم الواضحة في الحضارة الاسلامية وهو ليبون Lebon. J والمستشرق الفيلسوف رينان ernest Renon (١٨٢٣-١٨٩٢م), والطبيب غوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٣١م).

٥- المدرسة الامريكية:

ترجع طموحات الولايات المتحدة الامريكية بالشرق منذ سنة ١٨١٠م, من خلال ارساليات التبشير التي تعد الجمعية التبشيرية الامريكية اهم مؤسساتها, ويقول في ضوء ذلك ساسي الحاج: "وكان الاهتمام الامريكي, قد انصب منذ البداية على الحملات التبشيرية التي قذفت بها الى الشرق للتبشير بالمسيحية" (الظاهرة الاستشراقية واثرها على الدراسات الاسلامية، ١٩٩١م).

وأسست الجامعة الامريكية في بيروت (المستشرقون، ٢٠٠٦م), فالاستشراق الامريكي بدأ عملياً بعد الحرب العالمية الثانية عندما وجدت امريكا نفسها مضطرة لتحل محل بريطانيا في المشرق العربي (ابراهيم ع.، ١٩٩٣م), ومن ابرز مستشرقي هذه المدرسة فيليب حتى Hitti Ph. Kh (١٨٨٦-١٩٧٨م), والمستشرق ول ديورانت William James Durant (١٨٨٥-١٩٨١م).

ثالثاً: التعريف بالعلوم العقلية عند المؤرخين

يطلق على العلوم العقلية بالعلوم الصرفة او العلوم الدنيوية, واحياناً يطلق عليها بالعلوم الحكمية ولابد هنا من تعريف العلوم العقلية عند المؤرخين المسلمين والمستشرقين, ومن هذه العلوم هي علم الطب, الذي عرفه عبد الرحمن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٤م), قائلاً: "هي صناعة تنظر في بدن الانسان من اذ يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والاغذية, بعد ان تبين المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية" (المقدمة، ١٩٨٦م).

واتفق على تعريف الطب, كل من الجرجاني (ت ٨١٦هـ/١٤١٥م), وطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م), بأنه: "علم يبحث فيه عن بدن الانسان من جهة ما يصح ويمرض لحفظ الصحة وازالة المرض" (محمد ع.، ١٩٧٨م).

اما علم الكيمياء, فقد عرفه طاش كبرى زادة قائلاً: "علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها وافادتها لم تكن لها" (مصطفى أ.، ١٩٦٨م).

اما علم الجبر والمقابلة او علم الحساب, الذي اهتم المؤرخين المسلمين في تعريفه, فقد عرفه لنا العّلامة الفيلسوف ابن خلدون قائلاً: "صناعة عملية في حساب الاعداد بالضم والتفريق, فالضم يكون في الاعداد بالأفراد هو الجمع, وبالتضعيف تضاعف عدداً بأحاد عدد اخر هذا هو الضرب والتفريق ايضاً... وهو الطرح ... وهو القسمة" (المقدمة، ١٩٨٦م).

وكذلك عرفه طاش كبرى زاده قائلاً: "علم يتعرف منه كيفية استخراج المجهولات العددية بمعادلتها لمعلومات تخصها" (مصطفى أ.، ١٩٦٨م).

أما حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ), فقد عرف علم الحساب قائلاً: "علم يعرف فيه كيفية استخراج مجهولات عددية من معلومات مخصوصة" (الله، ١٩٤١م).

وكذلك عرفه المستشرق سوتر suter قائلاً: "علم الحساب بأنه الاسم الذي اطلقه العرب على جميع موضوع هذا العلم, ويقال لمن يمارسهُ الحسّاب او الحاسب" (واخرون).

وكذلك عرف المؤرخين المسلمين علم الفلك, ومن بينهم ابن خلدون قائلاً: "علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتيسرة ومن فروعه علم الازيلج" (المقدمة، ١٩٨٦م).

وكذلك عرفهُ طاش كبرى زاده قائلاً: "يعرف منه احوال الاجرام البسيطة, العلوية والسفلية واشكالها واوضاعها ومقاديرها وابعادها" (مصطفى أ.، ١٩٦٨م).

تناول المؤرخين المسلمين تعريف علم الفلسفة ومنهم حاجي خليفة قائلاً: "علم يبحث فيه عن حقائق الاشياء على ما هي عليه في نفس الامر بقدر الطاقة البشرية وموضوعه الاشياء الموجودة في الاعيان والاذهان" (الله، ١٩٤١م).

يبدو لنا مما سبق, الى ان المؤرخين المسلمين كابن خلدون, وطاش كبرى زاده, وحاجي خليفة, اهتموا بتعريف العلوم العقلية تعريفاً دقيقاً, تناقله منهم, المستشرقين واضافوا عليه بعض الاضافات, وكذلك تميزت هذه التعاريف التي وضعها المؤرخين المسلمين بالتشابه نوعاً ما فيما بينها.

المبحث الثاني

الرؤى الأستشراقية للعلوم الاسلامية

اولاً: رؤية المستشرقين الى العلوم العقلية

اختلفت رؤية المستشرقين للحضارة الاسلامية من مستشرق الى اخر, منهم من أدان للمسلمين بالفضل لوصول الحضارة ولاسيما العلوم العقلية الى اوروبا, ومنهم من غبن دور الحضارة الاسلامية في التأثير بالعقلية الاوروبية وارجعها الى الحضارة اليونانية, اي ان المسلمين اخذوا العلوم من اليونان وطوروها فيرى المستشرق ول ديورانت على ان: "المسلمون هم الذين ابتدعوا الكيمياء, بوصفها علماً من العلوم, ذلك ان المسلمين ادخلوا الملاحظة الدقيقة والتجارب العلمية والعناية برصد نتائجها في الميدان الذي اقتصر فيه اليونان, على الخبرة والفروض الغامضة" (محمود، ١٩٥٦م).

مما لاريب فيه, ان ول ديورانت ارجع علم الكيمياء السالعرب , ورأى بأن اليونانيون اضافوا تجاربهم وخبراتهم عليه وطوروه بينما زيغريد هونكه, فترى ان "كل مستشفى مع ما فيه من ترتيبات ومختبر, وكل صيدلية ومستودع أدوية في ايامنا هذه, انما هي في حقيقة الامر, نصب تذكارية للعبقرية العربية" (دسوقي، ١٩٩٣م).

رائع ذلك وصف المستشرقة الالمانية هونكه من انها ادانت بفضل المسلمين على الحضارة الاوروبية في مجال المعالجة, وترتيب الصيدلية الاوروبية وكذلك المستشفيات, وعدتها نصب تذكارية عربية.

اما المستشرق والطبيب الفرنسي غوستاف لوبون فيرى ان: "الطب من اهم العلوم التي عني بها العرب, وانتم العرب اعظم اكتشافاتهم في هذه العلوم, وترجمت مؤلفات العرب الطبية الى اللغة اللاتينية.

وكذلك يرى ول ديورانت, بأن للعلماء المسلمين فضل على اوروبا في علم البصريات, ويعلق على ذلك قائلاً: "لولا ابن الهيثم, لما سمع الناس قط بروجر باكون, وها هو روجر باكون نفسه لا يكاد يخطو خطوة في ذلك الجزء الذي يبحث في البصريات دون ان يشير الى ابن الهيثم او ينقل عنه" (محمود، ١٩٥٦م).

هنا ول ديورانت, فضح روجر بيكون او باكون الذي يبحث في علم البصريات او الفيزياء على وفق تجارب ابن الهيثم دون ان يشير اليه, في محاولة منه لطمس فضل العرب على اوروبا وليس فقط ابن الهيثم.

وكانت رؤية هونكه واضحة بشأن الاقرار بفضل المسلمين على اوروبا, لأنها عاشت معهم, ودافعت عنهم ورأت في الخوارزمي بأنه: "لم يقتصر على تعليم الغرب كتابة الاعداد والحساب, فقد تخطى تلك المرحلة الى المعقدين من مشكلات الرياضيات" (دسوقي، ١٩٩٣م).

وضع المستشرق ليبون رؤيته الواضحة في الاقرار بفضل المسلمين على اوروبا في نقل العلوم وقال في ضوء ذلك: "ان حماسة المسلمين في دراسة الحضارة اليونانية واللاتينية مدهشة حقيقة وقد ضاهت العرب شعوب كثيرة" (حسني).

ويرى المستشرق نوبرجر بأن: "فاقت الحضارة العربية في أوج امبراطورية الاسلام حضارة روما القديمة في حيويتها وتنوعها على حين, كان لحضارة الاسلام في الاندلس مركز يشابه من عدة وجوده حضارة اليونان القديمة" (حسني).

نوبرجر يجعل الحضارة العربية اغنى من حضارة روما, وتميزت بتنوعها, وكذلك يقارن حضارة المسلمين في الاندلس, بحضارة اليونان القديمة, لكون بعض العلماء المسلمين, قد قدموا من بلاد العراق والشام وبلاد الروم الى الاندلس وساهموا بدور فعال في امتزاج علومهم بعلوم المسلمين, فأصبحت الحضارة الاسلامية مزيج من الحضارة اليونانية القديمة.

ويرى ريثان, بأنه لم ير من الحضارة الاسلامية جديداً على اوروبا, لأنها حضارة نصرانية ويهودية, غير انها مكتوبة بحروف عربية (قاسم، ١٩٨٣).

تبدو رؤية ريثان خانقة تجاه الحضارة الاسلامية وارجعها الى اصول نصرانية ويهودية, لكون المترجمين الذين ساهموا في ترجمة تراث اليونان أبان العصر العباسي الاول, من اصول مجوسية ويهودية ونصرانية.

تقارب مع ريثان, المستشرق الاب فرانسيكو جافيير في رؤيته للحضارة الاسلامية قائلاً: "ان اهم ما قدمته الحضارة العربية الاسلامية من علوم وفلسفة, كان في عهد الدولة العباسية وقد تم على يد رهبان مسيح, تولوا نقل علوم الاغريق وفلسفتهم الى اللغة العربية" (مصطفى ا.، مواقف المستشرقين من الحضارة الاسلامية في الاندلس، ١٩٨٥).

ويرى المستشرق البلجيكي دوسن Dossin بأن: "الحضارة الاوروبية بل الحضارة الغربية كلها مدينة للمسلمين بميراث حكمه الاقدمين" (دسوقي، ١٩٩٣م), وترى هونكة بأن الرازي ذاك الطبيب العظيم وأحد الاوائل الذين جعلوا من الكيمياء علماً صحيحاً" (دسوقي، ١٩٩٣م).

وترى ايضاً ان "البستاني الذائع الصيت في القرون الوسطى, والذي افسحت لهُ بلاد الغرب مكانه الشرف بين معلميها العرب" (دسوقي، ١٩٩٣م)

ويرى الاستاذ كارل ساخاو, استاذ اللغات السامية في جامعة فينا بالنمسا بأن البيروني عالم الفلك أنهُ: "من اعظم العقول التي ظهرت في العالم" (محمد ف.، تاريخ الفكر والعلوم العربية، ١٩٨٨).

يعترف المستشرق لانسون lanson بأن "الغزوة العربية جاءت الى الغرب بكثير من علوم الحساب والطب والفلسفة", يقصد لانسون بالغزوة العربية, الفتح الاسلامي للاندلس في سنة ٩٢هـ/٧١١م (المستشرقون، ٢٠٠٦م).

ويرى السير توماس ارنولد, المنصف للإسلام, "بأن العلوم الاسلامية, وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر, فتبدد غياب الظلام الذي كان يلف اوروبا في القرون الوسطى" (النحراوي، ١٩٥٧).

يرى المستشرق الامريكي لويس بأن العرب لم يتعرضوا لنظرية اليونان الاساسية في الطب, لكنهم اغنوها بملاحظاتهم العملية, وتجاربهم الطبية, اما في الرياضيات فمآثرهم اعظم واكثر اصالة" (زايد، ١٩٥٤).

على الرغم من كون برنارد لويس يهودي متعصب ضد الاسلام والمسلمين, وهو من اثار الصراع المذهبي بين المسلمين أبان مشاركة في مجلة الدعوة الاسلامية بالنمسا في سنة ١٩٨٣م عندما اعلن بحثه بعنوان "اسرائيل والصراع السني الشيعي", وكذلك كونه أحد المخططين لاقتسام الشرق الاوسط, ووضع خطة غزو العراق في سنة ٢٠٠٣م, الا انه يدين ويعترف بحضارة العرب في مجالي الطب والرياضيات ولم يرجعها الى حضارة اليونان.

تبين لنا من خلال قراءة رؤية المستشرقين بمختلف هوياتهم القومية, بأنهم اعترفوا بفضل المسلمين عليهم في تطوير العقلية الاوروبية, والتي لاتزال تستنبط الافكار في فن المعالجة وهندسة المباني والطرق وصناعة العديد من الآلات وكذلك حل معادلات الرياضيات من الدرجة الاولى والدرجتين وكذلك في مجالي الفلسفة والفلك مما يولد عندنا الشعور بأن اكتشاف الامريكيتين من قبل العالم كولمبس, قد مهد له من قبل علماء مسلمين في الفلك وبرهنوا بكرويه الارض كالشريف الادريسي (ت ٥٦٠هـ) مثلا.

ثانياً: اثر العلوم العقلية الاسلامية على اوروبا

كان للحضارة الاسلامية صدى كبير على اوروبا أبان العصور الوسطى, وخاصة فيما يتعلق بالعلوم العقلية, التي ترجمها المسلمون الى اللغة العربية وطوروها واضافوا تجاربهم عليها, ومن ثم ترجمها الاوروبيين الى اللغة اللاتينية, اما عن طريق الحروب الصليبية (٤٨٩-٦٩١هـ) شرقاً, او عن طريق الاندلس (٩٢-٨٩٧هـ) غرباً, وأحيوا التراث اليوناني ثانية, وطمسوا فضل العرب القدماء عليه, وازالوا بصمات العرب المسلمين في ترجمة تراث اليونان ودراسته ونقدهُ وتصويبه, وحاولوا ربط حضارتهم باليونان والرومان مباشرة (شوقي، ٢٠١٠).

من اهم اثار المسلمين على اوروبا, هو ترجمة المؤلفات الطبية, التي وجدت صداها حتى عصرنا هذا على اوروبا, فترجم كتاب القانون في الطب لأبن سينا, وكتاب الحاوي في الطب للرازي وكتب ابن الهيثم والزهراوي (محمود ا.) (ت ٤٠٣هـ), على اوروبا قائلاً: "وترانا مدينين لأبي القاسم بكثير من الآلات الجراحة وقد وصف هذا الجراح المسلم عملية سحق الحصاة في المثانة, التي عدت على غير حق من مخترعات عصرنا الحالي, فأشار لعملية الشق الى عين المكان الذي يشير اليه جراحونا في الوقت الحاضر" (حيدر، ١٩٥٦).

واشار ديورانت الى اثر الحضارة الاسلامية على اوروبا في مجال (انشاء المستشفيات, فذكر لنا بأنه في فرنسا كثرت المستشفيات التي تعتني برعاية العجزة والفقراء, وفي عام ١٢٦٠م انشأ ملك فرنسا لويس التاسع القديس الذي قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر في سنة ٦٤٨هـ/١٢٥١م, والتي باءت في الفشل فقد وقع في الاسر, ومن ثم اطلقت سراحه السلطانة المملوكية شجر الدر بالفدية, فقد اسس في باريس ملجأ سمي بملجأ الثلاثمائة, الذي كان في بدايته مأوى للمكفوفين, ثم اصبح مستشفى للرمد, والان يعتبر من اهم المراكز الطبية في باريس (محمود ز.، ١٩٥٦م).

اثر الرازي تأثيراً كبيراً على العقلية الاوروبية في مجال اطب, فقد ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية والعبرية (اللغة القديمة اليهودية) وخاصة المنصوري في الطب والحاوي في الطب في عشرين مجلد, في مكتبة كلية الطب بجامعة باريس, وطبعت خمس مرات في اوروبا من سنة ١٤٨٦م حتى سنة ١٩٠٣م, ومازال للرازي صورة الى جانب ابن سينا تزين قاعتها (المستشرقون، ٢٠٠٦م).

هذا ما توصل اليه الاوروبيين بفضل العرب المسلمين, بحيث كانت اوروبا في العصور الوسطى, تعيش فترة مظلمة, تسيطر عليها الملكية والكنيسة, وحرمت الكنيسة المعالجة بالأدوية, لذلك نهض الغربيون فيما بعد نتيجة التأثر بالعلماء المسلمين, فأخذوا علومهم وترجموها, وساروا عليها في فن المعالجة لذلك عدت اليوم اوروبا المركز الاول في المعالجة على عكس المسلمين الذين انشغلوا بالنزعات الدينية فيما بينهم, والبدع والخرافات التي جعلت منهم ما يسمى بـ الانسان البدائي.

في اوائل القرن السابع الهجري, الثالث عشر الميلادي, قدم ليوناردو فيبوناتشي (١١٧٠-١٢٥٠م), الى مصر والشام من مدينة بيزا الايطالية, وعاش مع والدهُ في الجزائر (المغرب الاوسط), وتعلم العربية, ثم سافر الى الشرق الاسلامي فاتقن الرياضيات, والف في سنة ١٢٠٢م كتابة العدد, وهو اول كتاب يعرض الارقام العربية, والطريقة العشرية والصفر في اوروبا (المستشرقون، ٢٠٠٦م).

وألف كتاب في الهندسة التطبيقية ايضاً, وقد استخدم الجبر في حل النظريات الهندسية وهذه الطريقة لم تكن معروفة من قبل اوروبا وكتب ايضاً في سنة ١٢٢٥م, رسالتين الى ملك صقلية فردريك بن روجر الثاني, الذي اشتهر بحب للعلم, في حل معادلات الدرجة الاولى والثانية, وهذه المؤلفات نشرها في اوروبا نتيجة علمية لتطوافه في الشرق, واتصاله بعلمائه واطلاعه على الكتب العربية (مونتكمري، ١٩٨١).

كان للأندلس الاثر الكبير في نقل المعالم الحضارية الى اوروبا, وعدت من اهم المعابر فقد عدت طليطلة في الاندلس من اهم المدن التي نقلت منها المؤلفات الى اوروبا, عندما سقطت في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م, بيد الفونسو السادس, وفي عهد حفيده الفونسو العاشر الملقب بالحكيم (٦٤٩ – ٦٨١هـ / ١٢٥٢ – ١٢٨٤م), بلغت الثقافة أوجها, بحيث اسس معهد للدراسات العليا في مدينة مرسيه شرق الاندلس في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٩م, واختار لهُ اعلام المسلمين والنصارى واليهود, وعلى رأسهم ابو بكر الرقوطي, ثم نقله الى اشبيليه والحق به مجمعاً علمياً لمزج الحضارتين الاسلامية والمسيحية في حضارة اسبانيا موحدة, وجمع حولهُ العلماء, وعهد اليهم بالترجمة والتصنيف, وكان يشرف بنفسه على التوجيه والتحرير والتلخيص, فترجم الى الاسبانية الانجيل والقرآن في سنة ٥٣٨هـ/١١٤١م, والتلمود, وكان يراجع ما انجز من ترجماتها وينظمه ويختصره ويصلح من اسلوبه (المستشرقون، ٢٠٠٦م).

وكذلك انشأ ريموندر الاول رئيس اساقفه طليطلة (٥٢٤ – ٥٤٩هـ / ١١٢٦ – ١١٥م), مدرسة للمترجمين في سنة ٥٢٧هـ/١١٣٠م, فنقل المترجمون المسلمون والنصارى واليهود في هذه المدرسة المؤلفات العلمية الى اللغة اللاتينية (المستشرقون، ٢٠٠٦م).

كما انه لا يجب ان لا ننسى تأثر البابا جربرت دي اورلياك المعروف في التاريخ بـ الباب سلفستر الثاني (٣٩٠-٣٩٤هـ/١٠٠٠-١٠٠٤م), الذي تأثر بعالم الرياضيات الكبير الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٣م), , فأخذ منه طريقة كتابة وقراءة الارقام العربية الغبارية الى اوروبا, وأول من ادخل الصفر الى اوروبا (دسوقي، ١٩٩٣م).

تأثرها هرمان الكسيح (٤٠٤ – ٤٤٦هـ / ١١٠٣ – ١٠٥٤م) بالحضارة الاندلسية الاسلامية, في مجال الرياضيات والتنجيم, بحيث انه على الرغم من مرضه الا انه استفاد من ترجمات البابا سلفستر الثاني, ومن

الطلاب الاوروبيين العائدين الى اوطانهم وعندهم نقل هرمان الآلات الفلكية العربية ولاسيما آلة الاسطرلاب (دسوقي، ١٩٩٣م).

ومن صور التأثير الاخرى, وجود نسخة لاتينية من حكم بقراط, الفيلسوف الكبير, كانت تستخدم في التدريس بمدينة شارتر الفرنسية, عام ٣٨٢هـ/٩٩١م (مؤلفين، ١٩٩٩), وهذا يدل على النفوذ الاسلامي في جنوب شرق فرنسا وكذلك كان للهندسة والمهندسين المسلمين اثرهم الكبير على الحضارة الاوروبية, بحيث شيدوا قباب الكنائس في بافاريا, ولاتزال بإحدى المدن الالمانية (شتوتفارت), حتى اليوم سقاية ماء تدعى اميديو Amedeo, وهو تحريف لكلمة احمد المهندس العربي الذي بناها (مؤلفين، ١٩٩٩).

تأثر الاوروبيين بالفلسفة الاسلامية, وعرفوها في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين, عن طريق الاندلس, فترجموا مؤلفات ارسطو وابرقلس وافلاطون, بواسطة معاهد الترجمة في طليطلة, التي اسسها الفونسو السادس عندما احتل طليطلة في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م فتمكنوا من ترجمة مؤلفات ارسطو المنطقية كالسماء والعالم, والتحليلات الثانية, والكون والفساد, وكان لهذه الحركة اثر فعال في أخطاب الفكر الاوروبي الذي سرعان ما خضع لفلسفة ارسطو (ارنست، ١٩٨١).

وترجم يوحنا الاسباني منطق ابن سينا, وترجم المترجمون الاوروبيون, كتاب مقاصد الفلاسفة للإمام حجة الاسلام الغزالي (٤٧٠-٥٠٥هـ/١٠٨١-١٢٠٨م), وكتاب ينبوع الحياة لإبن جبرول (ت ٤٥٠هـ/١٠٦١م) (وبوزورف، ١٩٧٨).

ان اول من ادخل فلسفة ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) الى اوروبا, هو ميخائيل سكوت في سنة ٥٢٧هـ/١٢٣٠م, حتى لم يأت منتصف القرن السابع الهجري, الثالث عشر الميلادي, حتى كانت جميع كتب ابن رشد, قد ترجمت الى اللغة اللاتينية, وغزت الرشديه اوروبا (مؤلفين، ١٩٩٩), في مطلع سنة ٥٤٤هـ/١٢٤٧م, عثر فيليب الطرابلسي على مخطوطة عربية, تعرف بـ (سر الاسرار), المنسوبة للعالم اليوناني ارسطو, فترجمها الى اللغة اللاتينية وكانت اكثر كتب العصور الوسطى المتأخرة انتشاراً (فيليب، ١٩٥٢).

اما الكيمياء او ما عرف عند المسلمين بعلم الصنعة فقد كان له الاثر البالغ على اوروبا, وترجم كتاب غاية الحكيم, للعالم احمد بن مسلمة المجريطي (ت ٣٩٨هـ), الى اللغة اللاتينية, في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي, وعرف الاوروبيين من المسلمين, تقسيم المواد الكيمياوية الى نباتية وحيوانية ومعدنية ومازالت المعدات العربية في مجال الكيمياء التي انتقلت الى الكيمياء الحديثة تحمل اسماءها العربية الاصيلة (محمود ا.).

كما ان مؤلفات جابر بن حيان (ت ٢٥١هـ/٧٦٥م), عدت من اشهر مؤلفات الكيميائيين المسلمين, وعد اول من اصطنع التجربة العلمية ونشرت منها ما يقارب ثمانية وعشرين كتاباً في المجموعات الكيمياوية بجنيف سنة ١٧٠٢م (المستشرقون، ٢٠٠٦م).

وفي ميدان علم الفلك, فقد قام مجموعة من المترجمين الاوروبيين, بنقل كتب علم الفلك من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية, فترجموا زيج الجداول للعالم البتاني (ت ٣١٧هـ/٩٢٠م) الذي كان صابئي الديانة, ثم اعتنق الاسلام (المستشرقون، ٢٠٠٦م) الى اللغة الاسبانية, بناءً على رغبة الفونسو العاشر الحكيم ملك قشتالة (٦٤٩ – ٦٨١هـ/ ١٢٥٢ – ١٢٨٤م), وسمي بـ (الجداول الالفنسية) التي عاشت في اوروبا لعدة قرون (مؤلفين، ١٩٩٩).

تبين لنا مما سبق, بأن للعلوم العربية الاثر الكبير على العقلية الاوروبية, بحيث بعض العلماء أدان بالفضل الكبير على العلماء العرب, وبعض الاوروبيين انكر ذلك.

الخلاصة

- ان للمستشرقين رؤية واضحة واحياناً متناقضة من مستشرق لآخر, في الادانة الى المسلمين في التأثير بالعلماء الغرب, فنجد احياناً مستشرق يدافع عن الحضارة الاسلامية كالالمانية هونكه, وكذلك نجد مستشرق متحامل ضد الاسلام, لكنه لا يغبن اثر العلوم الاسلامية على اوروبا كالمستشرق برنارد لويس, بينما عندما تصفحنا في استقراء رؤية المستشرقين للحضارة الاوروبية, وجدنا بعض المستشرقين, عد جذور العلوم العقلية من تراث اليونان وذلك من خلال دس السم بصورة غير مباشرة في سحق التراث الاسلامي.
- تأثر الاوروبيين خلال العصور الوسطى, بالعلماء المسلمين عن طريق الاندلس والحروب الصليبية اللتين عدتا الطرق المباشرة للتلاقح الحضاري بين الحضارتين الغربية المريضة والاسلامية المزدهرة.

قائمة المصادر والمراجع

١-الدراسات *العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية*. (١٩١١م). القاهرة: المطبعة الاميرية.

٢-(١٩٧٨م). الكويت.

الاستشراق - المعرفة - السلطة - الانشاء (المجلد الاولى). (١٩٨١م). بيروت.

٣-*المقدمة* (المجلد السادسة). (١٩٨٦م). بيروت: دار القلم.

٤-*الظاهرة الاستشراقية واثرها على الدراسات الاسلامية*. (١٩٩١م). مالطا.

٥-*الاستشراق والتاريخ الاسلامي القرون الاسلامية الاولى دراسة مقارنة بين وجهة النظر الاسلامية ووجهة النظر الاوربية* (المجلد الاولى). (١٩٩٨م). لبنان.

٦-*المستشرقون* (المجلد الخامسة). (٢٠٠٦م). القاهرة: دار المعارف.

٧-ابو الفضل جمال الدين بن مكرم. (١٩٩٥م). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

٨-ابو خليل ، شوقي. (٢٠١٠). *الحضارة العربية الاسلامية وموجز عن الحضارات السابقة* (المجلد الخامسة). دمشق: دار الفكر.

٩-*دائرة المعارف الاسلامية*. (بلا تاريخ). (أحمد الشنتشاوي واخرون، المترجمون) وزارة المعارف.

١٠-أحمد بن مصطفى. (١٩٦٨م). *مفتاح السعادة ومصباح السيدة*. القاهرة: دار الكتب الحديثة.

١١-اربري ، أ. ج. (١٩٤٦م). *المستشرقون البريطانيون*. (محمد الدسوقي النويهي، المترجمون) لندن.

١٢-التكريتي ، بهجت كامل. (٢٠٠٨م). الاستشراق المعنى والهدف. *مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد*، صفحة ص٩٣.

١٣-الحديثي ، ظفار. (٢٠٠٩م). *خراسان في الاستشراق الامريكي ، ريتشارد فراي انموذجاً* . جامعة بغداد : كلية الاداب .

١٤-الخربوطلي ، علي حسني. (بلا تاريخ). *الحضارة العربية الاسلامية*. القاهرة: مكتبة الخاشخجي.

١٥-الخشن، وليد كاظم. (٢٠١٣م). *الدراسة الاستشراقية في فرنسا دراسة في اسلوبها ومنهجها*. بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر.

١٦-السامرائي ، قاسم. (١٩٨٣). *الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية*. الرياض: دار الرفاعي للنشر.

١٧-الشعكة ، مصطفى. (١٩٨٥). *مواقف المستشرقين من الحضارة الاسلامية في الاندلس*. الرياض: مكتبة التربية العربي.

١٨-العقاد ، عباس محمود. (بلا تاريخ). *اثر العرب في الحضارة الاوربية*. مصر: دار المعارف.

١٩-المنجد ، صلاح الدين. (١٩٧٨م). *المستشرقون الالمان*. بيروت: دار الكتاب الجديد.

٢٠-بامات ، حيدر. (١٩٥٦). *مجالي الاسلام*. (عادل زعتير، المترجمون) القاهرة: دار احياء الكتب العربية.

٢١-بنتس، ارنست. (١٩٨١). الثقافة الاسلامية تنقل الفلسفة اليونانية الى اوربا. *المورد*، صفحة ٤٦٦.

22-لندن (.Trans ,النويهي .ا .م) .*المستشرقون البريطانيون* .(م1946) .، .ا ,ج

٢٣-حتي ، فيليب. (١٩٥٢). *تاريخ العرب (المطول)*. (إدوارد جرجي وجبرائيل جبور، المترجمون) بيروت: دار الكشاف.

٢٤-*الدعوة إلى الاسلام*. (١٩٥٧). (حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي، المترجمون) القاهرة.

٢٥-حسين ، محمد محمد. (١٩٧٨م). *حصوننا مهددة من داخلها*. بيروت: المكتب الاسلامي.

٢٦-*قصة الحضارة*. (١٩٥٦م). (زكي نجيب محمود، المترجمون) القاهرة: لجنة التأليف.

سورة الزمر. (بلا تاريخ).

٢٧-شاخت وبوزورف. (١٩٧٨). *تراث الاسلام*. (حسين مؤنس واخرون، المترجمون) الكويت.

٢٨-عبد الكريم، ابراهيم. (١٩٩٣م). *الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل*. عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية.

٢٩-علي بن ابراهيم. (١٩٩٣م). *مصادر المعلومات على الاستشراق والمستشرقين ، استقراء للمواقف*. الرياض.

٣٠-علي بن محمد. (١٩٧٨م). *التعريفات*. بيروت: مكتبة لبنان.

٣١-*شمس العرب تسطع على الغرب "اثر الحضارة العربية على اوربا"* (المجلد الثامنة). (١٩٩٣م). (فاروق بيضون و كمال دسوقي، المترجمون) بيروت: دار الافاق.

٣٢-فهد، بدري محمد. (١٩٨٨). *تاريخ الفكر والعلوم العربية*. بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

٣٣-مجموعة مؤلفين. (١٩٩٩). *تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس* (المجلد الاولى). بنغازي: دار المدار الاسلامي.

٣٤-محب الدين ابي الفيض محمد مرتضى. (١٣٠٦هـ). *تاج العروس من جواهر القاموس*. القاهرة: المطبعة الخيرية.

٣٥-محمد بن ابي بكر عبد القادر. (١٩١١م). *مختار الصحاح*. القاهرة: المطبعة الاميرية.

٣٦-مصطفى بن عبد الله. (١٩٤١م). *كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

٣٧-العرب في التاريخ. (١٩٥٤). (نبيه فارس ومحمود يوسف زايد، المترجمون) بيروت: دار العلم للملايين.

٣٨-وات، مونتكمري. (١٩٨١). *اثر الحضارة العربية الاسلامية على اوربا*. (جابر ابي جابر، المترجمون) دمشق: منشورات وزارة الثقافة.